فتاوى المنار

فتحنا هذا الباب لاجابة أسئلة المشتركين خاصة، اذ لا يسع الناس عامة، ونشترط على السائل ان يبين لنا اسمه ولقبه وبلده وعمله (وظيفته) وله بعد ذلك ان يرمز الى اسمه بالحروف ان شاء، واننا نذكر الاسئلة بالتدريج غالبا وربما قدمنا متأخرا لسبب كحاجة الناس الى بيان موضوعه وربما أجبنا غير مشترك لمثل هذا. ولمن يمضي على سؤاله شهران أو ثلاثة ان يذكر به مرة واحدة فان لم نذكره كان عندنا سبب صحيح لاغفاله

البيع بالنسيئة

(س ٦٩) ح ح في الجبل الأسود: ماقولكم دام فضلكم في البيع بالنساء مضاعفة كأن يكون ثمن السلعة في السوق قرشا واحداً بالنقد فيبيعها المالك بقرشين نسيئة وهل يوجد فرق في هذا البيع بين أن يكون لمسلم أو لغير مسلم

(ج) ان ذلك جائز للمسلم وغيره ما لم يكن غش أو تغرير ولا فرق في المعاملات بين المسلم وغيره لأن الشريعة الاسلامية ساوت بين الناس في الحقوق وان اختلفوا في الجنس والدين وانما الشرائع الاخرى لاسيما الأوربية منها هي التي تفاضل بين الاجناس والملل فتميز كل شريعة أبناء جنسها في الحقوق على غيرهم. أما الشريعة الاسلامية فانما تقدم المسلم على غيره في الأمور التي تتعلق بالدين ولا يخفى أمر التراحم والتسامح مع المحتاج أو المضطر

شرب الغازوزة

(س ٧٠) ومنه: الماء الذي يقال له في اللغة التركية (غازوزه) هل يجوز شربه أم لا

(ج) ما كنا نظن أن هذا مما يحتاج للسؤال عنه فانه لا يسكر قليله ولا كثيره وليس فيه شيء من مادة السكر وما زال العلماء يشربون الكازوزة في الاستانة ومصر وفي كل بلد توجد فيه

شرب الدخان في مجلس القرآن

(س ٧١) محمد افندي حامي من المشتغلين بالعلم في دمياط:

قد سئلت عن حكم من يحضر لسماع أو تلاوة القرآن العزيز مستعملا لشرب الدخان المسمى بالتبغ — ولكوني أرى الحكم على غير رأي من ذهب فقال بالحرمة أو من قال بالكراهة بدون استناد منهما الى ما يقطع بصحة الحكم أمسكت عن الجواب واثنيت

لاخذ رأي من آتاه الله بسطة في العلم نظراً بماذا يرجع اليه رأيه في ذلك واليك رأينا

نحن لانرى في حق من شرب الدخان وقت تلاوة أو سماع القرآن الشريف أنه ارتكب محظوراً يجعله الشارع في حقه مكروهاً أو محرما وكيف يتسنى لنا ذلك ونحن على ما نعلم أنه لم يقم دليل من كتاب الله أو سنة على حرمة أو كراهة ذلك على من ذكرنا فهو عندنا لم يخرج عن كونه نباتاً تحول بالحرق لمادة كربونية ثم انتشر في الهواء مثل تحول الفحم النباتي وبقية المواد القابلة للاحتراق كذلك ومتى كنا نعلم أنه لم يقل أحد بتحريم أو كراهة استعمال مايتسبب عنه انتشار مايتولد بالحرق من نحو الفحم النباتي في مجلس من ذكرنا فلا يخول لنا القياس أن نخصص أحدهما بالحكم دون الآخر متى كان الكل متحولا لما هو من نوع واحد فما يحكم به على الواحد يحكم به على غيره والا كان هناك ترجيح بلامرجح ولا يمكن مع هذا المتخيل ان يرى فيما ذكرنا انحطاطاً بكرامة الألفاظ المتلوة متى كانت الآداب مرعية من الجانبين ولايقال إنه من الصوارف عما هو المقصود من المتلو مادامت الأسماع والقلوب ليست في أكنة ولايقال أيضا من شروط تلاوة المتلو طهارة محله وحض الكربون بانتشاره في محل المتلو يجعله قذراً لأنه ليس مما عد في الشرع مستقذراً بل صار في زماننا هذا مستطابا لنفوس الكثيرين وانتشر في سائر أنحاء الكرة الارضية وجنح الى تعاطيه أكثر الناس — حتى الاطفال والنساء لاسيما المخدرات — والشيء كما قيل يعطى حكم وقته . هذا مايظهر للناظر من تلك الجهة — جهة الاستعمال — أما إن نظر لهذا الجوهر من جهة أنه يضر بصحة المتعاطي حيث يجلب لجسمه الخطر الجسيم أو انه يضر الحاضرين بالنظر لاتحاد حض كربونه بالهواء المجاور فيجعله غير صالح للتنفس تماما فذلك نظر من جهة أخرى له حكم آخر ولو لم يكن بمحضر القرآن هذا وليعلم المطلع على ما كتبنا ان تصدينا له ليس من قبيل الميل لما نهوى فانا وربك ما تعاطينا شرب هذا الدخان عمرنا فلا يحمله ذلك على أن يقول هذا امرؤ يختار حكما لما يشتهي وانما مقصدنا بيان الحق في ذلك فجيء بجوابك الفصل أيها العالم الحكيم وأنت الحكم الذي ترضى حكومته والسلام

(ج) ان الذين يتأثمون من التدخين المعروف في مجلس القرآن لايبتون ذلك

على نجاسة مادة التبات ولا على كونه أخس من غيره أو نجسا ولا على كون التدخين يقتضي لذاته الاعراض عن الفهم والتدبر وانما يرون ذلك ينافي الأدب لان مجلس القرآن أفضل من مجالس العلم بتفسير القرآن ولاشك أن من يدخن في مجلس درس العلم سواء كان في مدرسة نظامية او مسجد يعدّ مخلا بالآداب فاذا كان عرف البلد يعد التدخين حال التلاوة أو سماعها مخلا بالأدب فالقول باجتنابه ظاهر واذا لم يكن ذلك عرفا عاما فعلى كل امرئ ان يعمل بما يعتقده وتطمئن اليه نفسه ومن كان أقرب الى الادب كان أبعد عن توجه الانكار عليه. هذا ما ظهر لنا في المسألة بعرضها على قواعد الشريعة وآدابها والله أعلم واحكم

حكمة عدة الوفاة وعدة الطلاق

(س ٧٢) مصطفى أفندي صبري مأمور مركز (البداري): أرجو افادتنا على بن مناركم الاسلامي عن الحكمة في تربص المتوفى زوجها أربعة أشهر وعشراً وتربص المطلقة ثلاثة قروء. أفادنا الله بكم وأثابكم على إرشادنا

(ج) الاصل في العدة بعد انفصال الزوجين بالطلاق او بموت الرجل ان يعلم أن المرأة غير عالقة من الرجل لئلا يشتبه حال الولد فلا يعلم أهو للزوج الاول أم للثاني فاذا تكرر على المرأة الحيض أو الطهر ثلاث مرات يعلم أنها غير حامل ولهذا المعنى كانت عدة الحامل ان تضع حملها فلو ولدت في اليوم الثاني جاز لها ان تتزوج والمتوفى زوجها تعتد لتعرف براءة رحمها من الحمل ولمعنى آخر وهو الحداد على زوجها ولذلك كانت عدتها أطول من عدة ذوات القروء اذ لا يليق بها ان تظهر الرغبة في الزواج بعد شهرين أو ثلاثة من موت زوجها بل ذلك ينتقد منها ويؤلم قرابة زوجها ولذلك زادت عدتها على عدة غيرها ووجب عليها الاحداد أربعة أشهر وعشر ليال لا تتزين فيها ولا تمس طيبا مع ان الحداد على سائر الاهل والاقربين لا يزيد على ثلاثة أيام فان زاد حرم الا ما قيل في الأب لحديث معلول ورد بسبعة أيام

وذهب أكثر المفسرين الى ان الحكمة في تحديد عدة الوفاة بهذا القدر انه هو الزمن الذي يتم فيه تكوين الجنين ونفخ الروح فيه ولابد من مراجعة الاطباء في هذا القول قبل التسليم به والظاهر لنا ان الزيادة لاجل الاحداد ولم يظهر لنا شيء قوي في تحديده ولكن هناك احتمالات منها انه ربما كان من عرف العرب ان لا ينتقد

على المرأة اذا تعرضت للزواج بعد أربعة أشهر وعشر من موت زوجها فأقرهم الاسلام على ذلك لأنه من مسائل العرف والآداب التي لاضرر فيها . وقد كان من المعروف عندهم أن المرأة تصبر عن الزوج بلا تكلف أربعة أشهر وتتوق اليه بعد ذلك ويروى ان عمر أمر أن لايغيب المجاهدون عن أزواجهم أكثر من أربعة أشهر . واذا صح ان هذا أصل في المسألة تكون الزيادة الاحتياطية عشرة أيام والله أعلم بالصواب

المنار المحمدي

أسباب ضعف المسلمين وعلاجه

كتب رفيق بك العظم مقالة (هذا أوان العبر) في حال المسلمين فكان لها من التأثير في نفوس نبهاء المسلمين أن انتدبت جريدة (تربيت) الفارسية الغراء التي تصدر في طهران الى ترجمتها فترجمتها في بريد الخميس الماضي ورسالة مطولة من أحد فضلاء حيدرأباد الدكن يثني فيها على الرفيق بما هو أهله من الغيرة والاخلاص والفضل وينتقد رأيه في جعل مزج السياسة بالدين هو السبب في ضعف المسلمين ويذكر ماعنده من الرأي في ذلك بغاية الادب ويعرضه على فضلاء المسلمين في مصر وفي سائر الاقطار ليؤيدوه أو ينتقدوه . ولما كان هذا البحث أهم المباحث التي أنشئ المنار لاجلها وكان صاحب هذه الرسالة من أحسن الكاتبين فيه أدبا وبيانا نشرنا مقالته كما نشرنا مقالة الرفيق . وقد قسمنا مقالة الفاضل الهندي الى قسمين أحدهما في بيان الداء وأسبابه والثاني في علاجه قال حفظه الله

بسم الله الرحمن الرحيم نحمده ونستعينه

جناب سيدي محمد رشيد رضا مالك مجلة المنار الفاضل . والعلامة العامل . الذي ايد الله به الدين وجعل وجوده نعمة ومنة على المؤمنين . فنشكر الله على هذه المنحة ونحمده على هذه النعمة .

بعد السلام عليكم ورحمة الله وبركاته اني أحكم في الله حبا وصدقا واسأل الله ان يزيدكم من فضله ويثيبكم على سعيكم في احياء السنة وهداية الامة . واني أرسلت اليكم هذه الرسالة فتوجهوا من فضلكم الى ترجمتها الى [illegible] رأيتم فيها فلكم الفضل عند الله ولكم الثواب عليه ولكم في [illegible]

لا اراكم تتوقفون ولا تتوقفكم اي مشقة وان أحببتم أن تجيبوا بجواب خطي فذلك يكون فضلا وكرما من حضرتكم

والذي ساقني الى كتابة هذه الرسالة اني رأيت في اثناء مطالعاتي الجزء الثامن من المجلد السابع من مجلة المنار التي هي منى الابرار، وقرة أعين الاخيار ، رسالة عنوانها (هذا اوان الصبر) انشأها الاخ الصالح الغيور رفيق بك العظم افصح فيها عن حالة المسلمين بما يفتت الاكباد ،ويصدع الجماد ،وهو لعمر الله كلام من فؤاد ملئ حمية وغيرة وطنية ،ودل على حسن طوية، واخلاص نية ،

واني لا اقصر ثنائي عليه فقط ولا انسى الشكر لكثير من اخواننا المصريين الذين لا يزالون يحررون الرسائل ، وينبهون الغافل ،والاخ رفيق بك المعظم جعل موضوع رسالته البحث عن سبب ضعف المسلمين واضمحلال روابطهم وتدليهم الى حضيض الجهل — ثم ماهو مانع للمسلمين عن الترقي ومجاراة الامم المتمدنة ورأيته أبدى من رأيه على مايعتقد ان سبب ماذكر هو مزج العرب الدين بكل شيء من امور الحياة الدنيوية واخصها حياة الامم السياسية والامة الاسلامية استسلمت وصارت خاضعة لأولئك الولاة بحكم الدين حتى تأصل فيهم روح الخضوع المطلق والطاعة العمياء لأولئك الامراء المستبدين الذين يسومون الامة الخسف ولو ان العرب في بداية الامر وضعوا الدين جانبا ،والسياسة الاجتماعية جانبا، وقلدوا الامم المتمدنة في ذلك العصر كالرومان لما سقطت الامة الاسلامية هذا السقوط. وبالجملة فلا نجاة الا ان يجتمع المسلمون ويضعوا الدين جانبا وسياسة الملك جانبا،

فهذه خلاصة رسالته ولا ريب في سقوط المسلمين عن عرش مجدهم وانتثارهم الى حالة الهمجية عن معاقل الاتفاق، وشرههم فيما بينهم على الشقاق، حتى صدق فيهم قوله تعالى «بأسهم بينهم شديد تحسبهم جميعا وقلوبهم شتى » بل المسلمون قلوبهم شتى ولا تحسبهم جميعا لتجاهر بعض لبعضهم بالعداوة. أحرجهم الزمان ،واراهم الصبر بالميان، وهم لاهون ،فيالله العجب الى متى هذه الغفلة، والتردي في هذه الغواية. والتكاسل عن الجد. والرفيق أبدى رايه بقصد اصلاح قومه ووضعه للنقد والاختبار فشكر الله سعيه وهانيا الاعمال بالنيات وانما لكل امرئ ما نوى: والانسان يبذل جهده ويصلح نيته

وليس عليه ان لا يخطئ . وحيث اني ظهر لي غير ما ظهر له ودلني عقلي على عكس ما ابداه احببت ان ابدي رأيي وأضمه ايضا للتمحيص والنقد والاختبار فان رآه المسلمون حسنا صحيحا فذلك فضل الله فليشيعوه وليبسطوه بالرسائل وأرجو من اهل الجرائد ان ينشروه ليطلع عليه العام والخاص « وذكر فان الذكرى تنفع المؤمنين » وان كان غير ذلك فمذلك شأني وعسى ان يظهر الله الصواب على يد من اراد فاقول

إن من قرأ تواريخ المسلمين عرف ما انتاب هذه الأمة من النوائب والمصائب التي لا تكاد تثبت لها شوامخ الجبال وهي كثيرة واعظمها تأثيرا على جامعة الاسلام أمران ناشئان عن تركهم الدين واهمالهم اياه احدهما في امورهم الشخصية والآخر يتعلق بحياتهم الاجتماعية السياسية بيانه. ان اعظم سبب لسقوطهم وتزعزع ملكهم بادئ بدء ان من لم يستحق الخلافة ولم يكن من اهلها ولم تجتمع له شروطها ولم ير اهل الحل والعقد انتخابه لها هاجم أهل الحق ونازع الحق اهله واغار عليهم بإثارة الحروب وأعانه من رغب في جمع الحطام ، باستمالة الطغام من العوام ، وكان ما كان حتى انتهت تلك الحروب الهائلة التعيسة بانتصار هؤلاء الظلمة لأسباب لا حاجة بنا الى بسطها. ولو كانت الغلبة لأهل الحق والعلم والدين والنهى لما كانت حالة المسلمين ما نرى ، ولكن لا ينفع :لوو عسى: في امر مضى وانقضى ،

ولما رأى هؤلاء المغتصبون انهم لم يظفروا بما ظفروا به الا بالقهر والسيف وخافوا ان يكر عليهم اهل الحق مرة أخرى مالوا عليهم ميلة ظافر غشوم فقتلوا احلامهم ، وانتهكوا حرمتهم ،ووكلت بمن بقي منهم الرقباء والجواسيس فتفرقوا في البلاد مختفين لا يبدون ولا يعيدون يعاقب الواحد منهم اشد العقاب على كلمة يقولها. يوضح ذلك قول ابي هريرة صاحب رسول الله (ص) حفظت عن رسول الله (ص) وعائين من العلم اما احدهما فقد بثثته فيكم واما الآخر فلو بثثته لقطع مني هذا البلعوم: او كما قال وهو في الصحيح وهؤلاء المتغلبون الغاصبون جعلوا الخلافة ملكا عضوضا كما اخبر بذلك رسول الله (ص) في مرض الموت وعدلوا بها عن منهج دين الله وشرعه واستأثروا ببيت مال المسلمين واستبدوا بآرائهم معاندة لسنة رسول الله (ص) وخلفائه رضي الله

عنهم وعصيانا لأمر الله في كتابه وآثروا الجهلة والفساق بالوزارة والامارة بجامع التشابه ولله در القائل (ان الطيور على اشباهها تقع)

فهذه اول مخالفة للدين وقعت في تاريخ الاسلام وهي سبب سقوط المسلمين واعظم مانع صرف المسلمين عن جميع القواعد والاصول وتفصيلها وترتيبها التي شرعها الله لهم وندبهم اليها لتكميل حياتهم الاجتماعية السياسية فبقيت مفرقة كما انزلت لايحيط بها علما الا العاملون الذين مر ذكرهم وبيان حالهم ومهملة لايحتفل بها الاشراء ولا يسمحون بنشرها للابرار، لما انها مخالفة لتلك الانفس الشهوانية، والرغائب الحيوانية.

خاف اولئك المستبدون ان تشتهر تلك الاصول وتعتقدها عامة الامة فيطالبوهم بما تقتضيه جبرا فبقيت محجوبة في زوايا الاهمال وبتركها شقي المسلمون وسعد بها في دنياهم اهل الغرب وكانت أكبر الغنائم التي آبوا بها واستفادوها من حروبهم ومخالطتهم المسلمين كما سعدوا ايضا بفوائد العلوم الفلسفية الطبيعية من هناك فكان نصيبهم من علومنا ما نسمع ونرى، ونصيبنا القيل والقال، وكثرة الجدال، كالذي يحمل الاثقال، وكانوا كالمبلغ اوعى من السامع

والسبب الثاني جناية على الدين ومخالفة له ايضا وهو الذي اقعدهم على بساط الذل والهوان، وبه يرسفون حتى الآن في مهاوي الخذلان، لايلوي احد منهم على الآخر وبه كانوا شيعا متفرقين وكان السبب الاول كالعدو القوي الهاجم، وتلاه السبب الثاني يجهز على الجرحى ويعاجل، وهو اعظم رزية، واشد بلية، ألا وهو نبذهم كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم وراء ظهورهم ومع ذلك فهم يحسبون انهم يحسنون صنعا. جهل مركب، وغواية عمياء، وفتنة دهماء، والى الله شكاة رسوله «وقال الرسول يارب ان قومي اتخذوا هذا القرآن مهجورا» إذ لم يعتنوا وصيته بالعمل بما هو امي فيما صح عنه «اني تارك فيكم ماان تمسكتم به لن تضلوا بعدي كتاب الله وسنتي» ورد بروايات متقاربة المعنى. بل عدلوا عن سبيله وأكبوا على تقليد الرجال الى مذاهب مختلفة، وآراء غير مؤتلفة، والله يقول وهو اصدق القائلين «ان الذين فرقوا دينهم وكانوا شيعا لست منهم في شيء» فنستغفر الله وحسبنا الله ونعوذ بالله من هذه العاقبة الوخيمة والتفرق المشئوم الذي يفسد الدارين، ويشقي الثقلين.

في الآخرة براءة نبينا (ص) منا وهو الذي نعد شفاعته اعظم ذخيرة ،وفي العاجلة ذهاب الريح والنصر في حياة منقضية بالتهاجر ،وبالجملة فالتقليد جلب علينا كل طامة لو لم يكن الافضى عرى الوفاق،وتهييج الشقاق، لكفى .ألاترى كل فرقة من فرق التقليد تود ان لو سمح الزمان لها باستئصال الفرق الاخرى واعدامها من الوجود ولقد بلغ بهم هذا الشغف الى أحقاد واثر هذا الاختلاف أشد تأثير على احساس المسلمين كما هو مشاهد

وان شئت تحقيق ذلك فدونك ومذهبا من تلك المذاهب استخرج منه مسئلة مخالفة للكتاب والسنة فنبه عليها بخصوص كونها من المذهب الفلاني ثم ادعهم الي الحق والعدول عن تلك المسئلة. لاريب انك ان فعلت ذلك ترى من جماعة ذلك المذهب العجائب والغرائب والصياح والنياح والتأولات وسائر التحيلات ويقاومونك أشد مقاومة ويرمونك بكل حجر ومدر وتعلم حينئذ صدق ما قلنا من ان هذه المذهبات أذهبت من المسلمين الإحساس بكل طارق مؤثر وصرفتهم عن الالتفات والتوجه الى ما سواها ولأجل ذلك لا تكاد ترى من علمائهم فضلا عن عوامهم تألما أو احساسا بما يعانونه ويقاسونه من وطأة الاعداء واعتصابهم على بلادنا وركوبهم كواهلنا الضعيفة وهؤلاء الاعداء لا يزالون في جد واجتهاد يسومونناكل دنية والمسلمون مع ذلك كله لاهون وغارقون في العماية المظلمة بتلك الافكار. اقرب مثال لهم واشبه حالة المجنون الذي يلعب به الاطفال ،ويسومونه النكال ،وهو لا يحس بما هو فيه وجسمه في عناء، يستوجب الرحمة من الاعداء، بل صرنا الى حالة احرج من حالة هذا المجنون، وتربص بنا كل ذي طمع رب المنون،وطوقوا أعناقنا بآصار النكال، وحملوا كواهلنا أنواع الشقاء الثقال، ونحن لا ننبث باستفاثة، ولا نستطيع شكاية،فهل سمع السامعون،اورأى الراءون ان أحدا يخاف او يعجز أن يقول لمن ظلمه ياهذا ارحم ضعفي، اوخف الله ولا تظلمني، أواعدل في حقي ،لالا لم يبلغ أحد الى هذا الحد الا المسلمون في هذا الزمان وذلك بسعي سلاطينهم وأمرائهم الذين يجب أن يخلد لهم التاريخ الثناء الجميل بذكر غيرتهم وشجاعتهم وحسن سياستهم وتمسكهم بأوثق عرى دينهم!! فسحقا لهم وبعدا من أمراء ياليتنا باكثرهم وجبلا واحدا من سواس الغرب الذين لو اعطي أحدهم الدنيا

بجذافيرها ليحط من قدر قومه ولو بكلمة يفوه بها لم يطاوعه طبعه فضلا عن أن يخون أمته أو يرضى بالدنية لها اللهم الا أن يكون في معرض الخداع لنا ليسوقنا الى نفعه وبعكس ذلك أكثر أمرائنا ومتولي شئوننا البطرون المتكبرون على قومهم وبني أوطانهم ثم تراهم متملقين صاغرين بين ايدي الاجانب يتسابقون الى إرضائهم حتى ان أحدهم اذا لاطفه الاجنبي بكلمة واحدة مخادعة يكاد فؤاده يطير فرحاً وسروراً ويرى كأنه اوتي مفاتيح جنة الخلد ويضحي أمته ووطنه أفلا يتفكر في عاقبة نفسه ولده ، اذا لم يبال بعشيرته وبلده ؟

هذه الكلمات هي وان كانت نفثات مصدور لم تجاوز الواقع ولا تنس شعكر كثير ممن يدعي العلم والتفقه الذين هم اليد البيضاء في التهييج بين طوائف المسلمين الذين يزينون لهم الاختلاف ، والتعصب لمذاهب الاسلاف ، اللهم انه عم البلاء واليك المشتكى فيا أمة الاسلام قد تجاوز الامر حده وبلغ السيل الزبى فهل من إفاقة؟ أليس التقليد اكثف حجاب دون ادراك كل حقيقة وهل هو الاعجز والمجزعلة كل آفة والعائق عن العلم والعمل والمانع لكل سعادة شخصية أو قومية وفيه نزل قوله تعالى « اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أربابا من دون الله » انك اذا أمعنت النظر وطرحت تشكيكات المتهوكين جانبا وقصدت الانصاف ومحضت النصح لله ورسوله ولقومك واخوانك المسلمين فلا شك انك توافقني على ماذكرت لك من آفات التقليد. أيها الواقف المنصف المشفق دونك والنظر الى أحوال تلك الفرق وما صنفوه من الاسفار والاطمار التي استحكم بها هجران النصوص حتى رمت بالامة الى العناد والضغائن والاحقاد ، وطوحت بهيكل اتحادهم الى الزوال والفساد ، صنفت حروفها بسواد الخطأ مع مافيها من التعقيد والتناقض والاضطراب والخفاء ولو رأيت ماهم من المختصرات المبهمة العبارات لا تكاد ترى فيها : قال الله قال رسوله (ص) : بل ولا قول الامام الذي يزعمون انهم قلدوه أمر دينهم ، اما تعجب من أصولهم المتضادة وآرائهم المتناقضة وطرقهم الوعرة الضنكة التي تحرج من أمها . غدوا وراحوا يقترحون على الامة ، يحرمون ويوجبون بالخرص والظنون ، لم يألوا جهدا في التشديد والتضييق قياسا واستنباطا وكناية وقرينة ومفهوما وفحوى واشارة وتأويلا الى غير ذلك مع سلوكهم فيما ذكر طريقا معوجا عن طريق السلف

الصالح . اشترطوا على القضاة في القضاء والسلاطين والامراء في السياسة شروطا يصعب التزامها ويستحيل العمل بها ولولا خوف الاطالة لذكرت من مخالفتهم الكتاب والسنة والعقول والفطر، والسياسة والنظر، مايضحك الثكلى ويمنع من ذكره الحياء

وبسبب هذا الغلو الذي نهى الله عنه وذم أقواما عليه في قوله «قل يا أيها الكتاب لا تغلوا في دينكم» الذي يسميه المقلدة احتياطا هجرت السلاطين الشريعة في أمر القضاء والسياسة بزعم ودعوى أن الشريعة شاقة وغير مطابقة لمصلحة الزمان وتركتها عامة الامة أيضا في أكثر أحوالها وجميع معاملاتها بل أكثر المتفقهة متحيرون، تراهم في عدو الى الحيل يخبطون، ولا تظن أن هذا الترك قريب العهد فإنه لم ينقل الينا التاريخ أن طائفة من طوائف التقليد استطاعت إجراء شؤونها على جميع قواعد ومسائل المذهب الذي اعتنقته فتمذهبهم ليس هو تمذهب عمل واكتساب ثواب بل اعتقاد واقوال ، ونزاع وجدال ، وتخاذل وافتراق ، وضياع ونفاق ، وبلاء وشقاق ، وكان نتيجة هذا التقليد ان شوهوا وجه الشريعة الغراء حتى ظن من ضعف ادراكه وعدم إحساسه ان الشريعة ليست سوى ما بأيدي هؤلاء المقلدة، اولم يسمع قول الشاعر

وكل يدعي وصلا لليلى * وليلى لا تدين لهم بذاكا

ما درى هؤلاء السلاطين والعامة المساكين ان الشريعة وراء ما خدعوا به من آراء الرجال وانما هي الكتاب والسنة وما عليه الرعيل الاول والخلفاء الراشدون وهي السهلة السمحة والرحمة التي لا يزيغ عنها الا ظالم وهي في اعلا رتب المصالح وما ذكره المقلدة من الاحراج والتضييق لا تأتي به لأن الشريعة مبناها واساسها على الحكم ومصالح العباد في المعاش والمعاد ، وهي عدل كلها ورحمة كلها ومصالح كلها وحكمة كلها فما خرج الى ضد ذلك فليس منها

وبالجملة فليس أضر على الامة من هؤلاء المتفقهة المقلدة الذين هم قذى العيون وشجى الحلوق وكرب النفوس وحمى الارواح وغم الصدور ومرض القلوب ان استفتت بهم في لم شعث الامة لم يعينوك ، اودعوتهم الى الصلح والاصلاح لم يجيبوك ، قد انكست قلوبهم ، وعمي عليهم مطلوبهم ، رضوا بالاماني وابتلوا بالحظوظ ، وأتعبوا انفسهم في غير ماشيء ، وحيروا العامة واضاعوا الامة ؛

وهل افسد الدين الا الملوك * واحبار سوء ورهبانها

اللهم انا من هـذين الطائفتين في عناء وشقاء وبلاء اللهم اصلحهم ووفقهم الى ما فيه صلاحهم وصلاح الامة ودلهم على التوبة والاوبة الى الاخذ بالكتاب والسنة اللهم جنبنا واياهم البدع والضلالة والف بين قلوب المسلمين

وما ذكرناه هو التقليد المتأصل وما سواه فهو فرع عنه. ومن ذلك طوائف زادت الطين بلة بلية على بلية تلقبوا بالقاب واتسموا بسمات فمنهم القبوريون المحتالون على سلب الاموال افسدوا العامة بفتن القبور والاستغاثة بهم في كل ماقل وجل يوهمونهم انهم ينفعون ويضرون حتى في جلب الرزق ودفع الاعداء وقد كان تقليد المذاهب المار ذكره فرّقهم طوائف وذرافات، وجلب عليهم الآفات ، وسلب منهم صفة التعاون والتناصر وامات شعورهـم عن المطالبات بحقوقهم. وفتنة القبوريين والمحتالين وتقليدهم اقعدهم عن اكتساب العلم والجد في رضى المولى وعبادته والاخلاص له واتكلوا على الاموات وشفاعتهم ولهم حكايات يطول شرحهـا وسمعت بعضهم يقول إن الولي الفلاني يرمي المدافع من قبره على الاعـداء والعامة اذا سمعت مثل هذه الخرافات آمنوا بها ووطنوا أنفسهم على ذلك حتى في الدفاع عن حرمهم ووطنهم فما بالك يا أخي تظن انه مع هذه الفواقر يبقى للامة الشعور والحياة القومية فان بقي لك أمل بعـد ماعرفت ماهم فيه من جناية التقليد عليهم فكيف يحقق ويثبت هذا الرجاء وقد أتت الطائفة الثالثة أعني المتصوفة تدعو الى تقليدها واتباع سبيلها ، تدعو الى الخمول والفقر والانطراح والاتكال على القدر مع رفض الأسـباب واعتقاد وحـدة الوجود بالاذواق والكشوفات التي لم يشموا رائحتها ولم يتصوروها لابحدها ولا برسمها ولكن يحكى ويروى أنها حصلت لاسلافهم ونحن لانذكر أموات المسلمين الابخير فإنهم قدموا على ماقدموا عليه وانما كلامنا في الاحياء بقصد اصلاح الامة وعسى ان الله يلقي في قلوبهم نورا ويصلح شأنهم

وبينما نحن نصيح بالويل والثبور، وتتململ تململ المذبوح ، من مصائب تراكمت علينا ونئن وراء حجب التقليد التي هي كظلمات في بحر لجي يغشاه موج من فوقه موج من فوقه سحاب ظلمات بعضها فوق بعض، تترجى وتتململ بلعل وعسى منتظرين بارقـة لطف ونجاة تكون على أيدي شبابنا المتخرجين في المدارس الغربية والتعاليم الاوربية اذ عاد الينا اكثرهم بصفقة المغبون فآبوا الينا ونحن على ما ترى وتشاهد من

الضعف واضلال الروابط الاجتماعية والفقر المدقع احوج مانكون الى العلوم الحديثة الغربية النافعة ولم يبق فينا من الخلال القومية الا التمسك بلغتنا واللباس الصوري الظاهري وبعض رسوم عادية فرجع اولادنا وشبابنا من هناك وقد بدلوها تقليداً للغربيين ولم يستفيدوا غير هذا التبديل ولم يفيدوا قومهم الا انهم شرعوا يطالبونهم بمحو هذا الشعار الظاهري وبعده تحتجب الأمة وراء حجاب السدم بالكلية! يارب يا غياث المستغيثين ؛ إنّا مسنا الضر وانت ارحم الراحمين

ايها الشبان ان من ذهبتم اليهم ودخلتم مدارسهم يعدون شعار اتمهم الظاهري انفس الاشياء واهمها يسترخصون في المحافظة عليه الانفس والاموال. فهم الرجال والله هم الرجال ؛ فهلا قلدتموهم في هذا الشعور والغيرة وهلا شعرتم وعرفتم ماعرفوه وشعروا به من منافع هذا الشعار واسراره!! اني وكلت التفصيل في هذا المقام الى عقولكم آه آه واحر كبداه من هذا العدو القاسي الغشوم لقد افترسنا هذا التقليد في كل مكان وزمان اعدمه الله ومحا رسومه. فيا أمة الاسلام هل من نهضة تنتفعون بها من هذا العدو وتبيدونه فالنجاء النجاء مادام فينا رجاء

الى هنا تم ما اردته من بيان اسباب سقوط الامة الاسلامية وعلة تقهقرهم عن مجاراة الامم المتمدنة في هذا الزمان والاخ رفيق غفل عن ذلك. وقوله ان العرب خلطوا الدين بكل شيء من شئون الحياة الخ خلاف الواقع وانما اصابهم ما اصابهم بجمودهم عن الدين واهمالهم لتعاليمه خصوصا مايتعلق منه بالملك وحياة الامم واغرب من ذلك تمنيه لو ان العرب سلكوا بالخلافة والملك مسلك من جاورهم في تلك الازمنة من الامم المتمدنة بزعمه كالرومان وغيرهم وهذه ايضا غفلة منه حفظه الله. بيانه ان تلك الامم لا توجد لديها قوانين سياسية كافية مهذبة متكفلة بكبح كل متمرد وردع كل طاغ بحكم المساواة بين الكبير والصغير ،والمامور والامير ،وطريقة ملك العرب الاسلاميين مع اختلالها، ومخالفتها الدين في كثير من احكامها واعمالها، هي اقوم واعدل مما كان بايدي تلك الامم .يؤيد ذلك ماتقل الينا التاريخ من مهاجرة كثير من تلك الطوائف ورغبة الآخرين ورضاهم عن ملوك العرب اكثر من رضاهم عن ملوك بلادهم .غاية مايقال عن اولئك الاقوام والامم الغابرة انه كان بعد كل فترة من الزمان يقوم

بين اظهرهم بعض حكماء يوالون الخطب والمواعظ ويهيجونهم الى الحماسة الدفاعية والهجومية ومن وراء ذلك تفرقهم الى ايالات وامارات صغيرة اكثرها غير معترف بسيادة اوتابعية لملك تلك الامة وبعض يعترف له ببعض السيادة والتابعية مع عدم الانتظام وكمال العدل بل كان استبداد السلاطين والامراء هو السائد وليس لامرهم ورعاياهم الا التسليم وعليهم الطاعة العمياء حتى ان الواحد من تلك السلاطين كان يلقي بامته الى التلف والحروب لينال بعض شهواته الحيوانية من امرأة كحرب كسرى وحشده جنده على بني شيبان. وأسوأ حالا منهم ملوك النصارى وتلاعب البابوات والاحبار والرهبان بهم أشهر من ان يذكر فما بالك بالهند وملكهم الاوثار او النائب عنه وتقسيمهم الى تلك الطبقات المشهورة لديهم. اما ملوك الصين فهم في معتقدهم ابناء السماء هذه هي الامم المعروفة بالملك في الزمان القديم وانما يسميهم بعض الناس مهذبين لما لهم من الاجتماع على ملك بالنسبة الى ايام الجاهلية اما بالنسبة الى ملوك الاسلام فلا. برهانه ان تلك الامم لم تثبت امام المسلمين في كل شئون الحياة وذلك ببركة بعض القواعد الدينية التي عملوا بها حينا وتركوها حينا. اما سياسة اوربا الحديثة الاجتماعية الملكية فاكثرها مأخوذة من دين الاسلام وموافقة له ولذلك كانت نسبة نظام من تقدم ذكره بالنسبة الى النظام الحديث اشبه بنسبة التوحش الى التمدن

وكأني بمكابر وحسود لدود او من عذره الجهل يستبعد اقتباس النصارى هذه المعارف عن دين الاسلام واقول ياهذا ان سابقة النصارى في الملك وعراقتهم فيه قبل الاسلام حتى الآن امر مسلم والتاريخ شاهد بأنه ملك عضوض مشوه بالاستبداد ومكدر بالفتن والاختلاف ومختل بالجهل والظلم ولم يكن لديهم شيء مما بايديهم الآن وانظر كيف حصل لهم ماهم فيه وماسببه ومتى كان بدءه فلقد ثبت وتقرر لدى كل ذي لب بالبديهة ومن اقوال كبار النصارى انهم لم تحصل لهم هذه المعارف والتقدم في السياسة الا بعد الحروب الصليبية ومخالطتهم المسلمين واخذ افراد منهم العلوم عن علماء الاسلام وحكمائه وحينئذ ترجموا القرآن وكثيرا من الكتب العربية وغيرها وهذبوها وقاموا يعلمون اقوامهم وصبروا على المحن والنكال والشدائد والاهوال محبة لاوطانهم وبني جلدتهم واهل ملتهم وبذلك نالوا مرادهم وبلغوا ما بلغوا وحتى الآن

تري كثيرا من فلاسفتهم وحكمائهم الممتازين بالعقل ومعرفه التاريخ لايزالون يحبون العرب ويعترفون لهم بمنة عليهم مع اختلاف الدين وبعكس ذلك بعض طوائف الاسلام ليس للعربي لديهم قيمة. وقد يقال اذا كان دين الاسلام قد اتى باكمل التعاليم السياسية والاجتماعية وان السلاطين المسلمين تركوها لعدم مناسبتها لطبائعهم الشهوانية فما بال الخلفاء الراشدين لم يجمعوها ويرتبوها ويفرعوا عليها وهل عملوا بها ام لا ؟ ويقال في الجواب ان مثل هذا الاعتراض يمكن ان يقال في اشياء كثيرة والجواب عن بعضها هو الجواب بعينه عن باقيها كان يقال ايضا ولم يجمعوا أحاديث النبي صلعم ولم لم يشرحوها ولم لم يفسروا القرآن ولم لم يرتبوا أصول الفقه الى غير ذلك مما اعتنى بجمعه وتدوينه المتأخرون وذكر الجواب عن ذلك العلماء في شروح الحديث عند ذكر البدع وجوابهم هناك هو جوابنا عن هذا الاعتراض ولنا أجوبة اخرى ليس هذا محل ذكرها اما الشق الثاني وهو ان الخلفاء هل عملوا أم لا فيقال لعمر الله انهم عملوا وأرشدوا فجازاهم عن الاسلام والمسلمين خير الجزاء وسيأتي لنا نقل بعض سيرتهم

(لها بقية)

باب التربية والتعليم

شذرات من يومية الدكتور أراسم (*)

في التربية بسفر البحر

يوم ١٤ مارس سنة ١٨٦٠

اضطرتنا الريح الى ان نجتاز خليج بسكاي (١) وقد اكدلي الربان انه وامثاله يحامون ما استطاعوا التورط في هذا الخليج الذي يهاب اسمه الملاحون انفسهم وهو على شدة تلاطم الامواج فيه لم يعق السفينة عن المسير وربما حدا بي ذلك الى اعتقاد

(*) معرب من باب تربية اليافع من كتاب أميل القرن التاسع عشر.

(١) خليج بسكاي ويسمى أيضا خليج قسقوني هو خليج في المحيط الاطلانطيقي واقع غربي فرنسا وشمالي أسبانيا